دوافع الفتوحات الإسلامية في صدر الإسلام دراسة في ضوء الفتوحات الراشدية (١١– ٤٠هـ)

The motives of the Islamic conquests in the breast of Islam, a study in the light of the Rashidun conquests (11-40h)

حيدر محمد كاظم عباس

٠٧٨١٦٢٩٨٠٧٧

hydrmhmdkazmalkfaj@gmail.com

الخلاصة

تتناول هذه الدراسة دوافع الفتوحات الإسلامية في العصر الراشدي (١١–٤٠هـ) من خلال تحليل أبعادها الدينية والسياسية والأمنية والاجتماعية. وتهدف إلى بيان أن الفتوحات لم تكن توسعًا عسكريًا محضًا، بل مشروعًا حضاريًا متكاملًا. اعتمد البحث المنهج التحليلي التاريخي والمنهج المقارن في دراسة سياسة الفتح بين الخلفاء الراشدين. وتوصلت الدراسة إلى أن البعد الديني شكّل الإطار القيمي الأساس للفتوحات، مع حضور واضح للاعتبارات السياسية والأمنية. كما بيّنت تفاوت نمط الفتوحات تبعًا لاختلاف الظروف الداخلية والخارجية. وأظهرت النتائج أن توقف الفتوحات في عهد الإمام علي (عليه السلام) كان خيارًا استراتيجيًا فرضته الأزمات الداخلية. وأسهمت الفتوحات في إحداث تحولات سياسية واقتصادية ودينية كبرى. وخلص البحث إلى أن الفتوحات الراشدية أسست لبناء الدولة الإسلامية وحضارتها المبكرة.

الكلمات المفتاحية : (الفتوحات الإسلامية ، العصر الراشدي ، دوافع الفتح)

Abstract

This study deals with the motives of the Islamic conquests in the Rashidi era (11–40h) by analyzing their religious, political, security and social dimensions. It aims to show that the conquests were not a purely military expansion, but an integrated civilizational project. The research adopted the historical analytical approach and the comparative approach in studying the policy of conquest among the Rashidun caliphs. The study found that the religious dimension formed the basic value framework for the conquests, with a clear presence of political and security considerations. It also showed the variation of the pattern of conquests depending on the different internal and external conditions. The results showed that the cessation of conquests during the reign of Imam Ali

(PBUH) was a strategic choice imposed by internal crises. The conquests contributed to major political, economic and religious transformations. The research concluded that the Rashidun conquests laid the foundation for the construction of the Islamic State and its early civilization.

Keywords: (Islamic conquests, the Rashidun era, motives of conquest)

مشكلة البحث:

بالرغم من تعدد الدراسات التي تناولت الفتوحات الإسلامية، إلا أن كثيرًا منها لم يُعالجها بوصفها مشروعًا توسعيًا ذا أبعاد متعددة (دينية، سياسية، اقتصادية، قومية)، ولم تتناول بالدقة التحولات الاستراتيجية التي طرأت على حركة الفتوح بين الخلفاء الراشدين، ولا سيما في ظل الظروف المتباينة التي مرّت بها الدولة الإسلامية.

وهذا يثير إشكالية البحث التالية:

ما هي الدوافع المركبة للفتوحات الإسلامية في العصر الراشدي؟ وكيف أثرت المتغيرات السياسية على نمط هذه الفتوحات وتوزيعها الجغرافي؟

اهمية البحث:

تتجلى أهمية هذا البحث من عدة نواحٍ، فمن الناحية الزمنية يتناول فترة مفصلية في نشوء الدولة الإسلامية وبناء شخصيتها العسكرية والسياسية. اما من الناحية الموضوعية كونه يبحث في دوافع الفتوح التي شكّلت ملامح الامتداد الجغرافي للعالم الإسلامي. ويفسر أسباب تفاوت النشاط العسكري بين الخلفاء، خصوصًا توقف الفتوحات في عهد الإمام علي (عليه السلام). بالإضافة الى كونه يسهم في تسليط الضوء على الأبعاد غير العسكرية للفتوحات الاسلامية.

خطة البحث

المبحث الأول: المفاهيم والدوافع العامة للفتوحات الإسلامية

المبحث الثاني: الفتوحات في عهد الخلفاء الراشدين

المبحث الثالث: الأثر السياسي والديني للفتوحات الراشدية

مقدمة

شهدت فترة صدر الإسلام واحدة من أبرز الفترات التاريخية التي تميزت بامتداد رقعة الدولة الإسلامية بشكل سريع ومكثف، حيث كانت الفتوحات الإسلامية في عهد الخلفاء الراشدين خطوة مركزية في هذا التوسع. هذه الفتوحات لم تكن مجرد حركات عسكرية فحسب، بل كانت محكومة بعدة دوافع روحية، سياسية، واقتصادية ساهمت في دفعها نحو الأمام. فبالإضافة إلى الرغبة في نشر الدين الإسلامي وتعزيز مكانته، لعبت الاعتبارات الأمنية والحاجة إلى تأمين حدود الدولة الناشئة دوراً هاماً. كما أسهمت العوامل الاقتصادية مثل توفير الموارد وتحسين أوضاع المسلمين في توجيه هذه الحملات. عكست الفتوحات في تلك الفترة رؤية استراتيجية واضحة تستند إلى مبادئ العدل والرحمة، حيث حرص القادة الراشدون على تنظيم العلاقات مع الشعوب المفتوحة بطريقة تراعي مصالح الجميع.

تهدف هذه الدراسة إلى تحليل دوافع الفتوحات الإسلامية في ظل الظروف السياسية والاجتماعية التي سادت بين ١١ و٤٠ هـ، وتسليط الضوء على الأبعاد المختلفة التي شكلت هذه الحركات التاريخية. من خلال هذا التحليل، يمكن فهم كيفية تداخل الأهداف الدينية والسياسية والاقتصادية في صياغة سياسة الفتح في صدر الإسلام. كما تسعى الدراسة إلى استكشاف تأثير هذه الدوافع على نجاح الفتوحات واستمرارها. إن معرفة هذه العوامل يساعد في بناء رؤية شاملة حول طبيعة الدولة الإسلامية في بداياتها وديناميكيات توسعها. كما أن هذه الفتوحات أثرت بشكل عميق في تشكيل هوية الأمة الإسلامية السياسية والاجتماعية، وأسهمت في بناء قاعدة واسعة من التفاعل الثقافي والاقتصادي بين الشعوب في تلك الامصار المفتوحة.

بالتالي، فإن دراسة دوافع الفتوحات الإسلامية في فترة الفتوحات الراشدية تمثل مفتاحًا لفهم التحولات الكبرى التي شهدها العالم الإسلامي، وتقديم رؤية متكاملة حول عوامل القوة التي دفعت الدولة الإسلامية نحو التوسع والاستقرار في آن واحد.

مشكلة البحث:

بالرغم من تعدد الدراسات التي تناولت الفتوحات الإسلامية، إلا أن كثيرًا منها لم يُعالجها بوصفها مشروعًا توسعيًا ذا أبعاد متعددة (دينية، سياسية، اقتصادية، قومية)، ولم تتناول بالدقة

التحولات الاستراتيجية التي طرأت على حركة الفتوح بين الخلفاء الراشدين، ولا سيما في ظل الظروف المتباينة التي مرّت بها الدولة الإسلامية.

وهذا يثير إشكالية البحث التالية:

ما هي الدوافع المركبة للفتوحات الإسلامية في العصر الراشدي؟ وكيف أثرت المتغيرات السياسية على نمط هذه الفتوحات وتوزيعها الجغرافي؟

اهمية البحث:

تتجلى أهمية هذا البحث من عدة نواحٍ، فمن الناحية الزمنية يتناول فترة مفصلية في نشوء الدولة الإسلامية وبناء شخصيتها العسكرية والسياسية. اما من الناحية الموضوعية كونه يبحث في دوافع الفتوح التي شكّلت ملامح الامتداد الجغرافي للعالم الإسلامي. ويفسر أسباب تفاوت النشاط العسكري بين الخلفاء، خصوصًا توقف الفتوحات في عهد الإمام علي (عليه السلام). بالإضافة الى كونه يسهم في تسليط الضوء على الأبعاد غير العسكرية للفتوحات الاسلامية.

أهداف البحث

يسعى هذا البحث إلى تحقيق الأهداف الآتية:

١. تحليل الدوافع المتعددة (الدينية، السياسية، الاقتصادية، القومية) وراء الفتوحات الإسلامية في العصر الراشدي.
٢. رصد الفروقات في نمط الفتوحات وسرعتها ومجالاتها الجغرافية بين الخلفاء الأربعة.
٣. توضيح أثر الظروف السياسية الداخلية (كالفتن والخلافات بعد مقتل عثمان) على توقف الفتح العسكري في عهد الإمام علي (عليه السلام).
٤. تفكيك التصورات النمطية التي تختزل الفتوحات في بعدها العسكري فقط، وإبراز أبعادها الفكرية والاجتماعية والدعوية.
٥. الاعتماد على المصادر وتحليل الروايات التاريخية بمنهج علمي للتوصل إلى فهم أشمل لمسار الفتح الإسلامي المبكر.

منهجية البحث

يعتمد البحث على الإجراءات الآتية:

المنهج التحليلي التاريخي: لتحليل الروايات التاريخية والمقارنة بين وجهات النظر المختلفة حول الفتوحات.

المنهج الوصفي: في تقديم الخلفيات السياسية والدينية والاجتماعية المحيطة بقرارات الفتح.

المنهج المقارن: لرصد أوجه التشابه والاختلاف في سياسة الفتح بين الخلفاء الراشدين.

مصادر البحث:

مصادر تاريخية: تاريخ الطبري، فتوح البلدان للبلاذري، الكامل في التاريخ لابن الأثير، خلافة علي بن أبي طالب لابن كثير.

مصادر تحليلية معاصرة: مثل محاضرات في تاريخ العرب للدكتور صالح أحمد العلي، والجهاد فكراً وممارسة للدكتور هاشم يحيى الملاح.

خطة البحث

المبحث الأول: المفاهيم والدوافع العامة للفتوحات الإسلامية

المبحث الثاني: الفتوحات في عهد الخلفاء الراشدين

المبحث الثالث: الأثر السياسي والديني للفتوحات الراشدية

المبحث الأول

المفاهيم والدوافع العامة للفتوحات الإسلامية

يُعدّ مفهوم الفتح من المفاهيم المركزية في دراسة التاريخ الإسلامي، ولا سيّما عند تناول مرحلة اتساع الدولة الإسلامية في عصرها الأول، إذ ارتبط هذا المفهوم ارتباطًا وثيقًا بطبيعة الرسالة الإسلامية وأهدافها، وبالمنهج الذي انتهجته الدولة الإسلامية في تفاعلها مع الشعوب والأقاليم المجاورة. ومن هنا تبرز أهمية الوقوف على الدلالة الحقيقية لمصطلح الفتح، بعيدًا عن الإسقاطات المعاصرة أو المقارنات غير المنضبطة مع مفاهيم الغزو والاحتلال السائدة في التاريخ القديم والحديث.

وتتطلب الدراسة العلمية لموضوع الفتوحات الإسلامية ضبط المفاهيم من حيث أصولها اللغوية ودلالاتها الاصطلاحية، لما لذلك من أثر بالغ في بناء تصورٍ دقيق لطبيعة هذه الفتوحات وأبعادها الفكرية والتشريعية والسياسية. فالفهم اللغوي يبيّن المعنى الأصلي للفتح في اللسان العربي وما يحمله من دلالات الإزالة والكشف والتيسير، في حين يُسهم التعريف الاصطلاحي في توضيح الكيفية التي استُخدم بها المصطلح في الفكر الإسلامي والكتابات التاريخية، ومعرفة دوافع الفتوحات الإسلامية في العصر الراشدي (١١–٤٠هـ)

المطلب الاول: مفهوم الفتح وأدلته في القرآن الكريم:

مفهوم الفتح : "ما اضطلع به المسلمون من جهاد وفتوحات أسهمت في فتح البلدان وتهيئة السبل أمام دعوة الله، ونشر رسالة الإسلام بين الناس، والقضاء على قوى الظلم التي كانت تحول دون وصول هذه الدعوة إلى المسلمين وغيرهم في شتى الأقاليم" [١].

وردت كلمة فتح في آيات قرآنية كثيرة ومنها : قوله تعالى : {لَّقَدْ رَضِيَ اللَّهُ عَنِ الْمُؤْمِنِينَ إِذْ يُبَايِعُونَكَ تَحْتَ الشَّجَرَةِ فَعَلِمَ مَا فِي قُلُوبِهِمْ فَأَنزَلَ السَّكِينَةَ عَلَيْهِمْ وَأَثَابَهُمْ فَتْحًا قَرِيبًا }[٢] ، وقوله تعالى : {إِذَا جَاءَ نَصْرُ اللَّهِ وَالْفَتْحُ } [٣]، وفي قوله تعالى : {إِنَّا فَتَحْنَا لَكَ فَتْحًا مُّبِينًا}[٤]، وقوله تعالى : {مَا لَكُمْ أَلَّا تُنفِقُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَلِلَّهِ مِيرَاثُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ ۚ لَا يَسْتَوِي مِنكُم مَّنْ أَنفَقَ مِن قَبْلِ الْفَتْحِ وَقَاتَلَ ۚ أُولَٰئِكَ أَعْظَمُ دَرَجَةً مِّنَ الَّذِينَ أَنفَقُوا مِن بَعْدُ وَقَاتَلُوا ۚ وَكُلًّا وَعَدَ اللَّهُ الْحُسْنَىٰ ۚ وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرٌ}[٥] ، وفي قوله تعالى : {وَأُخْرَىٰ تُحِبُّونَهَا ۖ نَصْرٌ مِّنَ اللَّهِ وَفَتْحٌ قَرِيبٌ ۗ وَبَشِّرِ الْمُؤْمِنِينَ}[٦] .

الفتح في اللغة : "نقيض الإغلاق، فتحه يفتحه فتحاً، وافتتحه وفتحه فانفتح وتفتح" [٧]

---

١) عبد العزيز بن إبراهيم العمري، الفتوح الإسلامية عبر العصور، دار كنوز إشبيليا للنشر والتوزيع، الرياض، ٤٦، ١٤٣٦هـ–٢٠١٥م، ص ١١

٢) سورة الفتح، الآية (١٨

٣) سورة النصر، الآية (١)

٤) سورة الفتح، الآية (١)

٥) سورة الحديد، الآية (١٠)

٦) سورة الصف الآية (١٣)

٧) جمال الدين محمد بن مكرم الملقب بابن منظور، (ت٧١١هـ)، لسان العرب، ط٤، (بيروت : التراث العربي ، ١٩٩٠م) ،ج١٠،ص١٧١.

والفتح "أن تفتح بين قوم يختصمون إليك، واستفتحت على فلان: أي سألته النصر"[١]

والفتح هو "افتتاح دار الحرب، والفتح: النصر، لأنه يفتح باباً مغلقاً" . [٢]

والفتح "ضروب: منها مايدرك بالبصر كفتح الباب والقفل والمتاع، ومنها ما يدرك بالبصيرة ، كفتح الهم وإزالة الغم، ومنها فتح المستغلق من العلوم". [٣]

وفتح مصدر فَتَحَ [٤] ويأتي أيضا بمعنى النصر والغلبة كما ورد في العديد من الآيات القرآنية، كقوله تعالى: (إِنَّا فَتَحْنَا لَكَ فَتْحًا مُبِينٌ) [٥] وقوله تعالى: (وَأُخْرَى تُحِبُّونَهَا نَصْرٌ مِنَ اللَّهِ وَفَتْحٌ قَرِيبٌ) [٦] ، والمراد من الفتح في هذا المحل نشر الاسلام في البلاد التي سادها الشرك [٧].

ولا يقتصر مفهوم الفتح على تحقيق الغلبة العسكرية وحدها، بل يشمل أيضًا مظاهر النصر في مختلف الجوانب العسكرية والفكرية والأخلاقية. وقد أدّت هذه العوامل مجتمعة إلى إقبال سكان البلاد المفتوحة على اعتناق الإسلام عن قناعة ورضا، مما شكّل انتصارًا عقائديًا عميقًا. وعلى هذا الأساس، فإن لفظ الفتوح بمعناه الشامل يدلّ على ما قام به المسلمون من جهاد وفتح للأقاليم، تمهيدًا لنشر الدعوة وتبليغ رسالة الإسلام إلى الناس كافة، تصديقًا لقوله تعالى: (وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلَّا كَافَّةً لِلنَّاسِ بَشِيرًا وَنَذِيرًا وَلَكِنْ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ)[٨] .

---

١) أبو منصور محمد أحمد الازهري (ت٣٧٠ه) ، تهذيب اللغة، تحقيق: عبد الكريم الغرباوي، ومحمد النجار، (القاهرة : الدار المصرية للتأليف والنشر) ، ٤٤٥/٦، د.ط ، د.ت.

٢) اسماعيل ابن عباد بن عباس الملقب بابن عباد (ت٣٨٥هـ)، المحيط في اللغة، تحقيق: محمد آل ياسين، (القاهرة : عالم الكتب،١٩٩٤) ، ٥٤/٣.

٣) جمال الدين ابو الفرج بن عبدالرحمن الملقب الجوزي،(ت٥٩٧ه) نزهة الأعين النواظر ، تحقيق : عبدالكريم الراضي، ط٣ ، (بغداد : مؤسسة الرسالة ،١٩٨٧م) ص٤٦٢.

٤) ابراهيم مصطفى واخرون ، المعجم الوسيط ، (القاهرة : مجمع اللغة العربية ، د.ت) ، ج٢،ص٦٧١.

٥) سورة الفتح : الآية ١.

٦) سورة الصف : الآية ١٣

٧) محمود شاكر ، التاريخ الاسلامي ،(بيروت : مطبعة المكتب الاسلامي،١٩٩١) ط٢ ، ج٢، ص١٢.

٨) سورة سبأ : الآية ٢٨.

يُقصد بالفتح في الاصطلاح تحقيق السيطرة على المكان، سواء أكان مدينة أم قرية، ويتم ذلك بالحرب أو من دونها، وعن طريق القتال أو الصلح؛ إذ يُعدّ الموضع مفتوحًا بعد أن كان مغلقًا، فإذا آل إلى يد الفاتحين عُدّ ذلك فتحًا. [١] وقيل "هو فتح مساكن الأعداء ودخول منازلهم" [٢]

يُقصد بالفتح الإسلامي خروج المسلمين إلى البلدان المختلفة والأقاليم البعيدة لنشر دعوة الإسلام؛ فإن استجاب أهل تلك البلاد ودخلوا في الإسلام تحقق الهدف المنشود، وإن امتنعوا عُرضت عليهم الجزية، فإن رفضوا كان القتال سبيلًا أخيرًا حتى يُمكَّن للإسلام. وعلى هذا الأساس، تُعدّ الفتوحات الإسلامية حركةً لنشر الإسلام عبر الدعوة أو القتال، وترسيخ مبادئه بما يحقق السلام والحرية للشعوب التي كانت واقعة تحت القهر والظلم[٣].

تتعدد الأدلة في القرآن الكريم الدالة على وجوب الفتح والجهاد، ومن ذلك على سبيل المثال لا الحصر قوله تعالى: (كَتَبَ اللَّهُ لَأَغْلِبَنَّ أَنَا وَرُسُلِي ۚ إِنَّ اللَّهَ قَوِيٌّ عَزِيزٌ) [٤]

ويُعدّ الجهاد في سبيل الله عنصرًا أساسًا من رسالة الإسلام، وسمةً مميزة للأمة الإسلامية في عهد الرسول ﷺ، إذ يهدف إلى الدفاع عن ديار الإسلام، ورفع العوائق التي تحول دون وصول الدعوة الإسلامية إلى شعوب العالم، فضلًا عن التوجّه إلى ديار الحرب لتحويلها إلى جزء من ديار الإسلام، أو إلى دار عهد يلتزم أهلها بدفع الجزية للمسلمين[٥].

وبهذه المقاصد السامية والغايات الرفيعة انطلقت حركة الفتوحات الإسلامية منذ عهد النبي ﷺ، واستمرت مسيرتها تتوسع في الأقاليم المحيطة بديار الإسلام، دون تمييز بين بلد لفقــره أو جدبه

---

١) محمد بن عمر الملقب بفخر الدين الرازي، (ت٦٠٦ه)، تفسير الفخر الرازي،ط٣ ، (بيروت : التراث العربي ، ١٤٢٠ه) ١٥٠/٣٣.

٢) محمد بن علي الشوكاني، (ت١٢٥٠ه) فتح القدير،(دمشق:دار ابن كثير ، ١٤١٤ه) ، ٥٠٩/٥.

٣)عبد العزيز العمري ، الفتوح الاسلامية عبر العصور ، (السعودية : دار اشبيليا للطبع ، ١٩٩٨) ، ط٣، ص١٥

٤) سورة المجادلة : الآية ٢١.

٥) محمد بن عبدالملك الملقب بابن هشام ، (٢١٨هـ) ، السيرة النبوية ، تحقيق : مصطفى السقا واخرون ،(بيروت : دار احياء التراث ، د.ت)، ج٥ ، ص٢٣٥.

وآخر لغناه أو خصبه، بل كانت تتوجه إليها تباعًا، ساعيةً بإصرار وصبر واجتهاد إلى نقلها من الشرك والوثنية إلى الإسلام، وترسيخ عقيدة التوحيد الخالصة[١].

إن الأصل في الجهاد في سبيل الله لا يتمثل في إكراه الناس على اعتناق الإسلام، مصداقًا لقوله تعالى: (ادْعُ إِلَى سَبِيلِ رَبِّكَ بِالْحِكْمَةِ وَالْمَوْعِظَةِ الْحَسَنَةِ)[٢]، وإنما شُرع لإزالة الحواجز والعقبات التي تحول دون سماع دعوة دين الفطرة التي فطر الله الناس عليها، ولرفع الظلم عن المستضعفين في الأرض من الرجال والنساء والولدان.

المطلب الثاني: دوافع الفتوحات الإسلامية في العصر الراشدي (١١-٤٠هـ)

تُعدّ الفتوحات الإسلامية في العصر الراشدي من أهم التحولات التاريخية في مسار الدولة الإسلامية، إذ أسهمت في انتقال المسلمين من نطاق الجزيرة العربية إلى فضاء دولي أوسع، وقد ارتبطت هذه الفتوحات بجملة من الدوافع المتداخلة التي لا يمكن ردّها إلى عامل واحد، بل جاءت نتيجة تفاعل ديني وسياسي واجتماعي وأمني وحضاري[٣].

أولًا: الدافع الديني والدعوي

شكّل البعد الديني الأساس الفكري للفتوحات الإسلامية، حيث انطلقت من مبدأ تبليغ رسالة الإسلام وتمكين الشعوب من سماعها دون إكراه، انسجامًا مع قوله تعالى: {ادْعُ إِلَى سَبِيلِ رَبِّكَ بِالْحِكْمَةِ وَالْمَوْعِظَةِ الْحَسَنَةِ}(النحل: ١٢٥). وقد حرص الخلفاء الراشدون على التأكيد بأن القتال ليس لفرض العقيدة، وإنما لإزالة العوائق السياسية والعسكرية التي حالت دون وصول الدعوة، وهو ما تجلّى في كتب الأمان والعهود التي مُنحت لأهل البلاد المفتوحة[٤].

---

١) محمد ضيف الله بطاينة ، دراسات في تاريخ الخلفاء الامويين ، (عمان : دار الفرقان ،١٩٩٩م) ، ص٢١٩.

٢) سورة النحل: الآية ١٢٥.

٣) أحمد شلبي، التاريخ الإسلامي والحضارة الإسلامية، (القاهرة: مكتبة النهضة المصرية، ١٩٩٧)، ص ١١٢.

٤) الطبري، محمد بن جرير، تاريخ الرسل والملوك، تحقيق محمد أبو الفضل إبراهيم، ج٣ (القاهرة: دار المعارف، ١٩٦٧)، ص ٢٤٦-٢٤٧.

ثانيًا: الدافع السياسي وبناء الدولة

برزت الفتوحات كوسيلة لترسيخ أركان الدولة الإسلامية الناشئة بعد وفاة النبي ﷺ، إذ أسهمت في توحيد الجبهة الداخلية وتوجيه طاقات العرب خارج شبه الجزيرة، فضلًا عن تثبيت هيبة الدولة في مواجهة القوى الكبرى آنذاك، ولاسيما الإمبراطوريتين البيزنطية والساسانية، اللتين كانتا تمثلان تهديدًا مباشرًا أو غير مباشر للكيان الإسلامي(١).

ثالثًا: الدافع الأمني والدفاعي

جاءت كثير من الفتوحات ذات طابع دفاعي وقائي، إذ سبقتها اعتداءات أو تحركات عسكرية معادية على الحدود، كما في العراق والشام. وقد أدرك الخلفاء الراشدون، ولا سيما عمر بن الخطاب، أن تأمين حدود الدولة لا يتحقق إلا بإبعاد مراكز الخطر، وإنهاء حالة الاستنزاف العسكري المستمر(٢).

رابعًا: الدافع الاجتماعي والإنساني

أسهمت الفتوحات في تحرير كثير من الشعوب من أنظمة استبدادية قائمة على التمييز الطبقي والديني، وقد وجد السكان المحليون في الحكم الإسلامي نموذجًا أكثر عدلًا، خاصة في ما يتعلق بحرية المعتقد، وحماية الأموال، وضمان الأمن الشخصي، الأمر الذي يفسّر ترحيب بعض المدن بالمسلمين أو عدم مقاومتهم الشديدة(٣).

خامسًا: الدافع الاقتصادي

لم يكن العامل الاقتصادي دافعًا رئيسًا، لكنه مثّل نتيجة طبيعية للفتوحات، إذ أدت إلى تنويع موارد الدولة من خلال الفيء والخراج والجزية، مما ساعد على تحقيق الاستقرار المالي، وتمويل شؤون الدولة، ورعاية الجند والفئات المحتاجة، ضمن إطار شرعي منظم بعيد عن النهب والاستغلال(٤).

---

١) عز الدين ابن الأثير، الكامل في التاريخ، ج٢ (بيروت: دار صادر، ١٩٦٥)، ص ٣٢٥.

٢) البلاذري، أحمد بن يحيى، فتوح البلدان، (بيروت: دار ومكتبة الهلال، ١٩٨٨)، ص ٢٤٠–٢٤٢.

٣) أحمد شلبي، التاريخ الإسلامي والحضارة الإسلامية، ص ١١٨–١١٩.

٤) صالح أحمد العلي، التنظيمات المالية في الدولة الإسلامية، (بغداد: جامعة بغداد، ١٩٩٠)، ص ٨٧–٨٩.

سادسًا: الدافع الحضاري

حملت الفتوحات الإسلامية بُعدًا حضاريًا واضحًا، تمثّل في نشر قيم العدل والمساواة، وإدخال نظم إدارية جديدة أكثر مرونة، فضلًا عن التفاعل الثقافي والعلمي بين المسلمين والشعوب المفتوحة، وهو ما مهّد لاحقًا لنشوء حضارة إسلامية عالمية[١].

يتضح مما تقدم أن دوافع الفتوحات الإسلامية في العصر الراشدي لم تكن توسعية أو عدوانية، بل جاءت استجابة لحاجات دينية وأمنية وسياسية وحضارية، وكان محورها الأساس نشر الرسالة، وحماية الدولة، وتحقيق العدل، وهو ما يميزها عن الفتوحات الإمبراطورية التقليدية في التاريخ[٢].

المبحث الثاني

الفتوحات في عهد الخلفاء الراشدين

تمثل الفتوحات الإسلامية في عهد الخلفاء الراشدين واحدة من أزهى العصور في التاريخ العسكري والسياسي للبشرية، حيث شهدت تحول الدولة العربية الناشئة من كيان إقليمي في قلب الجزيرة العربية إلى إمبراطورية عالمية تفرض هيمنتها على مراكز الحضارة القديمة. اذ أن هذه الفتوحات لم تكن مجرد حملات عسكرية تهدف إلى التوسع الجغرافي أو كسب الغنائم، بل كانت رسالة حضارية شاملة تهدف إلى كسر القيود التي فرضتها الإمبراطوريات الجائرة (الروم والفرس) على الشعوب، وفتح المجال لنشر قيم العدل والحرية والمساواة التي جاء بها الإسلام [٣].

لقد انطلقت هذه الجيوش بروح عقائدية صلبة، استمدت قوتها من توحيد القبائل العربية تحت راية واحدة لأول مرة في تاريخها، مما خلق "كتلة بشرية" ذات هدف سامٍ. وقد ساعد على نجاح هذه الفتوحات الحالة الاستراتيجية المتردية التي كانت تعيشها الإمبراطوريتان الساسانية والبيزنطية بعد سنوات طويلة من الحروب الطاحنة فيما بينهما، مما جعل الشعوب الواقعة تحت حكمهما تنظر للفاتحين المسلمين كمنقذين من الظلم المالي والاضطهاد الديني[٤] . وبذلك، مهدت هذه الفتوحات

---

١) طه حسين، الفتنة الكبرى: عثمان، (القاهرة: دار المعارف، ١٩٩٦)، ص ٤١–٤٢.

٢) ابن الأثير، الكامل في التاريخ، ج٢، ص ٤١٠.

٣) محمود شاكر ، موسوعة الفتوحات الاسلامية ، دار اسامة للنشر والتوزيع، عمان ، الاردن ، ٢٠٠٢م، ٣٦.

٤) محمود شاكر، موسوعة الفتوحات الإسلامية، ص ٢٢–٥٥.

الطريق لتغيير الخارطة الديموغرافية والثقافية للعالم القديم، مؤسسةً لبناء حضارة إسلامية استمرت لقرون.

المطلب الأول: الفتوحات في عهد الخليفة أبي بكر الصديق(رضي الله عنه) (١١-١٣ ه)

بدأت حركة الفتح الإسلامي الكبرى في عهد الخليفة أبي بكر الصديق (رضي الله عنه) كضرورة حتمية فرضتها الظروف السياسية والعسكرية التي أعقبت حروب الردة. لم يكن الصديق يهدف بمجرد تأمين حدود الجزيرة العربية، بل كان يدرك برؤيته الثاقبة أن بقاء الدولة الإسلامية يعتمد على كسر شوكة القوى العظمى المحيطة التي كانت ترى في الإسلام تهديداً لنفوذها[١]. انطلقت الاستراتيجية العسكرية من مبدأ المبادأة، حيث قرر الصديق ضرب الإمبراطوريتين الفارسية والبيزنطية في وقت واحد، موزعاً المهام على قادة أثبتوا جدارتهم في الميدان.

بدأ السرد العسكري في الجبهة الفارسية حينما كلف الخليفة خالد بن الوليد بالتوجه نحو العراق، حيث كانت البداية في منطقة كاظمة فيما عُرف بمعركة ذات السلاسل. هناك، واجه المسلمون جيشاً فارسياً منظماً بقيادة هرمز، الذي عمد إلى ربط جنوده بالسلاسل لمنعهم من الفرار أمام زحف المسلمين. إلا أن خالد بن الوليد أدار المعركة بذكاء عسكري نادر، حيث أنهك الجيش الفارسي الثقيل بحركات التفاف ومناورات صحراوية سريعة، انتهت بمقتل هرمز وانهيار صفوف الفرس[٢]. ولم يلبث خالد أن خاض معركة الولجة، وهي المعركة التي جسدت ذروة العبقرية العسكرية في العصور القديمة، إذ استخدم تكتيك الكمين المزدوج ليطبق على الجيش الفارسي من الخلف والجانبين في آن واحد، مما أدى لإبادة القوة الفارسية تماماً وفتح الطريق نحو مدينة الحيرة العريقة. دخل المسلمون الحيرة بعد حصار وجيز، وقبل أهلها بدفع الجزية، لتصبح هذه المدينة أول قاعدة إسلامية متقدمة في بلاد العراق[٣].

وفي الوقت الذي كان فيه العراق يشهد هذه الانتصارات، كانت جبهة الشام تشتعل بحشود الروم البيزنطيين. أرسل الصديق أربعة جيوش بقيادة أبي عبيدة بن الجراح وعمرو بن العاص ويزيد بن أبي سفيان وشرحبيل بن حسنة، لكن كثرة جموع الروم استدعت تحركاً استثنائياً. أمر الصديق خالداً

---

١) الطبري، تاريخ الرسل والملوك، ج٣، ص ٣٤٥-٣٦٠.

٢) ابن كثير، البداية والنهاية، ج٧، ص ٥-١٨.

٣) البلاذري، فتوح البلدان، ص ١٠٥-١٢٠.

بالانتقال من العراق إلى الشام، فسطر خالد ملحمة عبور صحراء السماوة القاتلة، في رحلة أسطورية قطع فيها الفيافي والقفار ليفاجئ الروم من جهة لم يتوقعوها[١] . اجتمعت القوات الإسلامية في أجنادين سنة ١٣هـ، حيث دارت معركة طاحنة أبلى فيها المسلمون بلاءً حسناً وكسروا فيها جيش "تذارق" أخي القيصر هرقل، مما مهد الطريق لفتح دمشق وبقية الحواضر الشامية، وفي خضم هذه الملاحم، رحل الصديق مخلفاً وراءه دولة تمتد حدودها وتتعاظم قوتها[٢].

المطلب الثاني: الفتوحات في عهد الخليفة عمر بن الخطاب (رضي الله عنه) (١٣-٢٣ هـ)

اعتلى الفاروق عمر بن الخطاب **(رضي الله عنه)** سدة الخلافة والفتوحات في ريعان شبابها، فعمل على تنظيمها وتوجيهها بأسلوب إداري وعسكري محكم ، أن عمر بن الخطاب (رضي الله عنه) كان يتابع التحركات العسكرية بدقة مذهلة، مرسلاً التوجيهات من المدينة المنورة إلى أقصى جبهات القتال[٣] . في العراق، تطورت الأحداث بشكل درامي وصولاً إلى معركة القادسية الكبرى في سنة ١٥هـ، بقيادة سعد بن أبي وقاص. يصف السرد التاريخي هذه المعركة بأنها كانت معركة الوجود، حيث استمر القتال أربعة أيام بلياليها، واجه فيها المسلمون الفيلة الفارسية بصدور عارية وبراعة نادرة، حتى انتهى اليوم الرابع بمقتل رستم قائد الفرس وتشتت جيشه، مما أدى لسقوط هيبة الدولة الساسانية للأبد[٤] .

بعد القادسية، انطلق الجيش الإسلامي نحو المدائن عاصمة الأكاسرة، وفي مشهد مهيب عبر المسلمون نهر دجلة بخيولهم في معجزة عسكرية أذهلت الفرس الذين فروا تاركين وراءهم كنوز كسرى وإيوانه الأبيض. دخل سعد المدائن وصلى فيها صلاة الفتح، وأرسل كنوز كسرى للفاروق في المدينة. ولم ينتهِ أمر الفرس إلا بمعركة نهاوند سنة ٢١هـ، التي سماها المسلمون "فتح الفتوح"؛ حيث استدرج المسلمون بقيادة النعمان بن مقرن الفرس من تحصيناتهم بحيلة ذكية، ثم انقضوا عليهم في ملحمة أنهت الكيان السياسي للدولة الفارسية تماماً[٥] .

---

١) محمود شاكر، موسوعة الفتوحات الإسلامية، ص ٢٢-٥٥.

٢) ابن الأثير، الكامل في التاريخ، ج٢، ص ٤٥٠-٥٢٠.

٣) محمود شاكر، موسوعة الفتوحات الإسلامية، ص ٤٦-٩٥.

٤) ابن الأثير، الكامل في التاريخ، ج٢، ص ٤٥٠-٥٢٠.

٥) الطبري، تاريخ الرسل والملوك، ج٤، ص ٥-٦٠.

أما في الجبهة الشامية، فقد كانت معركة اليرموك سنة ١٥هـ هي الفيصل بين الإسلام والبيزنطية. حشد هرقل كل طاقات إمبراطوريته، لكن المسلمين تحت قيادة خالد بن الوليد وأبي عبيدة الجراح سحقوا هذه الحشود في وادي اليرموك الوعر، مما دفع هرقل لمغادرة الشام وهو يقول قولته الشهيرة "سلام عليك يا سوريا سلاماً لا لقاء بعده". وعقب هذا النصر، توجهت الأنظار نحو القدس، حيث أبى بطريركها تسليمها إلا للخليفة شخصياً. سافر عمر بن الخطاب **(رضي الله عنه)** بمهابة الزهد ليتسلم مفاتيح بيت المقدس، مانحاً أهلها العهدة العمرية التي ضمنت لهم أرواحهم وكنائسهم وصليبهم في أرقى صورة للتسامح[١]. ولم يكتفِ الفاروق بذلك، بل أذن لعمرو بن العاص بفتح مصر سنة ٢٠هـ، حيث سقط حصن بابليون بعد حصار طويل، ثم فُتحت الإسكندرية، لتتحول مصر إلى قاعدة إمداد حيوية للمدينة المنورة وجسر للعبور نحو شمال إفريقيا[٢] .

المطلب الثالث: الفتوحات في عهد الخليفة عثمان بن عفان (رضي الله عنه) (٢٣-٣٥ هـ)

استمر زخم الفتوحات في عهد الخليفة عثمان بن عفان**(رضي الله عنه)** ليشمل آفاقاً عالمية جديدة، حيث شهدت هذه المرحلة وصول الإسلام إلى حدود لم تطأها أقدام الفاتحين من قبل. يروي محمود شاكر أن عهد عثمان **(رضي الله عنه)** تميز بفتوحات الشرق والشمال والغرب معاً، حيث استكمل عبد الله بن عامر فتح خراسان وسجستان، ووصلت الجيوش الإسلامية إلى كابل وبست وتخوم الهند. وفي الجبهة الشمالية، انطلق حبيب بن مسلمة الفهري ليخترق جبال أرمينيا والقوقاز، مثبتاً نفوذ الدولة الإسلامية في تلك المناطق الوعرة وواصلاً إلى حدود بحر الخزر[٣]

وفي الجانب الإفريقي، شهدت سنة ٢٧هـ انطلاق حملة كبرى بقيادة عبد الله بن سعد بن أبي السرح نحو تونس الحالية، فيما عُرف بمعركة سبيطلة. واجه المسلمون جيش الملك جرجير الذي كان قد استقل عن التاج البيزنطي، ونجح المسلمون في قتل جرجير بفضل خطة محكمة قادها عبد الله بن الزبير، مما أدى لخضوع مناطق واسعة في إفريقية للمسلمين[٤] . ولكن التحول الأبرز في عهد عثمان كان في المجال البحري؛ حيث أدرك معاوية بن أبي سفيان ضرورة بناء أسطول لحماية السواحل من

---

١) محمود شاكر، موسوعة الفتوحات الإسلامية، ص ٤٦-٩٥.

٢) الواقدي، فتوح الشام، ج١، ص ١٥٠-٢٠٠.

٣) محمود شاكر، موسوعة الفتوحات الإسلامية، ص ٩٦-١٣٠.

٤) ابن خلدون، العبر وديوان المبتدأ والخبر، ج٢، ص ١٢٥-١٥٥.

الغارات البيزنطية. وبموافقة عثمان، انطلق أول أسطول إسلامي ليفتح جزيرة قبرص سنة ٢٨هـ، ثم توجت هذه المجهودات بمعركة ذات الصواري سنة ٣٤هـ[١] .

كانت معركة ذات الصواري ملحمة بحرية فريدة، حيث التقى الأسطول الإسلامي الناشئ بأسطول الإمبراطور قسطنطين بن هرقل الذي ضم مئات السفن. يصف السرد التاريخي كيف ربط المسلمون سفنهم ببعضها البعض حتى تحولت المعركة البحرية إلى ما يشبه القتال البري فوق الأمواج، وانتهت بنصر مؤزر حطم الهيمنة البيزنطية على البحر المتوسط للأبد، وأمّن ثغور الشام ومصر بشكل كامل[٢] . وبهذه الفتوحات، تحولت الدولة الإسلامية في عهد عثمان إلى قوة عالمية برية وبحرية مهابة الجانب[٣]

المطلب الرابع: الفتوحات في عهد الخليفة علي بن أبي طالب (رضي الله عنه) (٣٥-٤٠ هـ)

يمثل عهد الإمام علي بن أبي طالب **(رضي الله عنه)** مرحلة استثنائية في تاريخ الفتوحات الإسلامية؛ إذ يعتبر المحللون هذه الفترة بأنها كانت مرحلة "الاستقرار الداخلي والحفاظ على المنجزات". فبسبب الفتنة التي اندلعت عقب استشهاد عثمان، انشغلت القيادة المركزية في الكوفة بمعالجة الانقسامات السياسية والحروب الداخلية مثل الجمل وصفين. وبالرغم من أن حركة التوسع الخارجي قد توقفت من حيث الكم الجغرافي، إلا أن الاستراتيجية العسكرية لعلي بن أبي طالب ظلت حريصة على عدم التفريط في شبر واحد من الأراضي المفتوحة سابقاً[٤] .

كان الإمام علي **(رضي الله عنه)** يدرك أن الأعداء في الخارج، خاصة الروم والفرس، يراقبون حالة الانقسام الداخلي للقيام بهجمات مرتدة، لذا حرص على بقاء نظام "الثغور" مرابطاً وقوياً. يسرد التاريخ كيف أن علي بن أبي طالب ظل يرسل القادة لضبط الأمور في بلاد فارس التي شهدت بعض الاضطرابات المحلية مستغلة الفتنة، فبعث جارية بن قدامة وغيره لتثبيت الحكم الإسلامي في كرمان وسجستان [٥]. كما أن سياسة علي الإدارية والمالية كانت تهدف إلى ترسيخ العدالة في المناطق

---

١) الذهبي، تاريخ الإسلام، عهد الخلفاء الراشدين، ص ٣١٠-٣٤٥.

٢) محمود شاكر، موسوعة الفتوحات الإسلامية، ص ٩٦-١٣٠.

٣) السيوطي، تاريخ الخلفاء، ص ١٥٥-١٦٥.

٤) محمود شاكر، موسوعة الفتوحات الإسلامية، ص ١٣١-١٥٠.

٥) المسعودي، مروج الذهب ومعادن الجوهر، ج٢، ص ٣٨٠-٤٢٠.

المفتوحة، مما جعل شعوب تلك المناطق تتمسك بالإسلام كمنهج حياة أكثر من مجرد خضوع عسكري[١]

اذ أن هذه الخمس سنوات كانت بمثابة فترة استراحة ضرورية لبناء الهوية الحضارية للمناطق المفتوحة، حيث تفرغ العلماء والصحابة لتعليم الناس القرآن والفقه، مما هيأ المناخ المناسب لانطلاقة الفتوحات الكبرى لاحقاً في العصر الأموي، إن التوقف العسكري في عهد علي لم يكن ضعفاً بل كان تركيزاً على "الفتح القلبي والحضاري" وتأميناً للمكتسبات الراشدية، وبذلك انتهى عهد الخلفاء الراشدين وقد غرسوا في الأرض بذور إمبراطورية لن تغيب عنها الشمس لقرون طويلة[٢] .

المبحث الثالث

الأثر السياسي والديني للفتوحات الراشدية

تعد الفتوحات الإسلامية في عصر الخلفاء الراشدين (رضي الله عنهم) أعظم حركة تغيير جيو-سياسي واقتصادي شهدها العالم القديم. لم تكن هذه الانتصارات مجرد صدى لصرخات الحرب في الصحراء، بل كانت إعلاناً عن ميلاد نظام عالمي جديد. اذ أن هذه الفتوحات استطاعت "توحيد أبناء القبائل العربية ضمن إطار الأمة الواحدة، وتأمين المجال الحيوي للدولة لتنمو على أرضية ملائمة اقتصادياً واجتماعياً" [٣] . سنتناول في هذه الدراسة المطالب الأساسية: الآثار السياسية وما تبعها من إعادة هيكلة للدولة، والآثار الاقتصادية التي حولت بيت المال إلى مركز مالي عالمي، والآثار الدينية التي أعادت صياغة الخارطة الروحية للمنطقة.

المطلب الأول: الآثار السياسية للفتوحات الإسلامية

أحدثت الفتوحات ثورة في المفاهيم السياسية العربية؛ حيث انتقل العرب من "السيادة القبلية" إلى "سيادة الدولة". ويمكن تفصيل هذه الآثار في المحاور الاستراتيجية التالية:

---

١) نهج البلاغة، شرح محمد عبده، الرسائل والعهود الإدارية.

٢) محمود شاكر، موسوعة الفتوحات الإسلامية، ص ١٣١-١٥٠.

٣) محمود شاكر، موسوعة الفتوحات الإسلامية، الطبعة الأولى، دار أسامة للنشر والتوزيع، عمان – الأردن، ٢٠٠٢م، ص٣.

أولاً: إعادة هيكلة الدولة ونشوء نظام الولايات

مع اتساع رقعة الدولة لتشمل أراضي إمبراطوريتين عظيمتين، ظهرت الحاجة الماسة لتقسيم إداري يضمن السيطرة والولاء، فقد استحدث الخليفة عمر بن الخطاب(**رضي الله عنه**) نظام "الولايات"، فقسمت الدولة إلى أقاليم كبرى (مصر، الشام، الكوفة، البصرة، الحجاز) .

فقد اهتم الخلفاء بمسألة اختيار الولاة ، فقد كان الخليفة يختار الولاة بناءً على الكفاءة الإدارية والسابقة في الإسلام. وكان عمر بن الخطاب إذا استعمل عاملاً (والياً) كتب عليه كتاباً وأشهد عليه رهطاً من المهاجرين والأنصار، واشترط عليه نصاً تاريخياً صريحاً : "أن لا يركب برذوناً *، ولا يأكل نقياً، ولا يلبس رقيقاً، ولا يغلق بابه دون حوائج الناس، فإن فعلت فقد حلت عليك العقوبة"[١] وهذا النص كان يهدف لضمان القرب من الرعية وعدم الترفع عليهم بمظاهر الترف الأعجمي (كالبراذين وهي الخيل غير العربية واللباس الرقيق).

اما من ناحية استقلال القضاء فاننا لأول مرة في تاريخ المنطقة، نرى فصلاً جزيئاً بين السلطة التنفيذية (الوالي) والسلطة القضائية (القاضي)، مما عزز مفهوم "دولة القانون" في الأراضي المفتوحة.

ثانياً: سقوط القوى العظمى وتغيير الخارطة الجيوسياسية

كانت الفتوحات بمثابة "رصاصة الرحمة" على النظام العالمي ثنائي القطب (الروم والفرس) في ذلك الوقت. فانهيار الساسانيين، بعد معارك القادسية ونهاوند التي ادت إلى زوال كلي لإمبراطورية عمرت قروناً، مما أدى لانصهار الثقافة الفارسية في البوتقة الإسلامية وتوفير عمق استراتيجي للدولة شرقاً [٢].

---

* البراذين : هي الخيل غير العربية واللباس الرقيق.

١) أبو يوسف يعقوب بن إبراهيم، كتاب الخراج، المكتبة السلفية، القاهرة، ب.ت، ص١١٥.

٢) محمود شاكر، موسوعة الفتوحات الإسلامية، الطبعة الأولى، دار أسامة للنشر والتوزيع، عمان – الأردن، ٢٠٠٢م، ص٧.

كذلك ساهمت الفتوحات الاسلامية في انحسار البيزنطيين، فقد فقدت روما الشرقية أهم ولاياتها (الشام ومصر)، مما حول البحر المتوسط من "بحيرة رومية" إلى ساحة صراع ثم سيادة إسلامية لاحقاً. هذا التغير السياسي جعل من المدينة المنورة "عاصمة القرار العالمي" التي تُخطب ودها الممالك البعيدة[١].

ثالثاً: نشوء المؤسسة العسكرية النظامية

قبل الفتوحات، كان الجيش يتشكل من متطوعي القبائل الذين يعودون لبيوتهم بعد انتهاء القتال. ولكن مع الحاجة لمرابطة دائمة في "الثغور" لحماية الحدود الواسعة، تحول الجيش إلى مؤسسة نظامية. كذلك فقد تم إنشاء "الدواوين" لإحصاء المقاتلين وتسجيل أسمائهم ورواتبهم بدقة[٢].

وقد ساهمت الفتوحات الاسلامية في بناء "الأمصار" (البصرة، الكوفة، الفسطاط) لتكون معسكرات دائمة وقواعد انطلاق عسكري وسياسي، مما منع اختلاط الجيش بالمدن القديمة والحفاظ على هويته القتالية[٣].

رابعاً: تطور الفكر السياسي ونظام الشورى العالمي

واجه الخلفاء قضايا سياسية لم تكن موجودة في عصر النبوة، مثل كيفية إدارة شعوب ذات ديانات ولغات مختلفة. أدى ذلك إلى تطور "الشورى" لتصبح مؤسسة استشارية عليا تناقش قضايا سيادية، مثل "حبس الأراضي المفتوحة" التي ناقشها عمر بن الخطاب مع الصحابة لأيام، وهو قرار سياسي بعيد المدى حافظ على وحدة الدولة ومنع نشوء إقطاع عسكري[٤].

المطلب الثاني: الآثار الاقتصادية للفتوحات الإسلامية

من الاثار الاقتصادية للفتوحات الاسلامية ان تحول الاقتصاد الإسلامي من "اقتصاد الغنيمة" البسيط إلى "اقتصاد الإدارة المالية" المعقد، مما خلق وفرة نقدية أدت لرفاهية اجتماعية غير مسبوقة ، فقد تم

---

١) أبو الحسن علي بن محمد بن الأثير، الكامل في التاريخ، دار الكتب العلمية، بيروت، ١٩٨٧م، ص٢٥.

٢) المصدر نفسه، ص٣٤.

٣) محمود شاكر، موسوعة الفتوحات الإسلامية، الطبعة الأولى، دار أسامة للنشر والتوزيع، عمان – الأردن، ٢٠٠٢م، ص١٢.

٤) طالب الدغيم، دوافع الفتوحات الإسلامية: دراسة في التطور العسكري الإسلامي، مكتبة الأسرة العربية، إسطنبول، ٢٠٢٠م، ص٤٥٢.

ابتكار الأنظمة المالية (الدواوين وبيت المال)، فمع تدفق كنوز كسرى وقيصر، ظهر "ديوان العطاء" ، اذ لم يكن هذا الديوان مجرد سجل للرواتب، بل كان نظاماً للتأمين الاجتماعي يضمن لكل فرد في الدولة نصيباً من الثروة الاسلامية ، حيث قُسم هذا النظام الناس إلى فئات حسب الأقدمية في الإسلام، بالاضافة الى انشاء بيت مال المسلمين والذي أصبح لكل ولاية بيت مال فرعي، يُنفق منه على احتياجاتها، وما فضل يُرسل إلى بيت المال المركزي في المدينة، مما خلق توازناً مالياً بين الأقاليم الغنية والفقيرة، اما في الجانب الزراعي فقد عمد الخليفة عمر بن الخطاب الى اتخاذ قرار اقتصادي في ذلك العصر فبدلاً من تقسيم الأراضي بين الفاتحين، أبقاها في يد الفلاحين الأصليين مقابل ضريبة "الخراج" مما ساهم في الاستقرار الزراعي فقد ضمن هذا القرار عدم انقطاع الإنتاج الزراعي في أهم الامصار الاسلامية (العراق ومصر). وكذلك قامت الخلافة الاسلامية بمشاريع ري ضخمة، وحفرت القنوات، وأصلحت القناطر. يذكر المقريزي أن إنتاج مصر الزراعي زاد بشكل مطرد بسبب العدالة الضريبية التي حلت محل التعسف الرومي[١] ، مما ساهم في تنوع المحاصيل، وأدى انفتاح الأقاليم على بعضها إلى انتقال بذور ومزروعات من الشرق إلى الغرب، مما أنعش الأسواق المحلية[٢].

المطلب الثالث: الآثار الدينية للفتوحات الإسلامية

تجاوزت آثار الفتوحات الجوانب المادية لتحدث تحولاً روحياً ودينياً عميقاً في بنية المجتمعات المفتوحة، ويمكن إبراز ذلك من خلال السرد التحليلي التالي:

أولاً: كسر حاجز الخوف وانتشار الدعوة

قبل الفتوحات الاسلامية ، كانت السلطات الساسانية والبيزنطية تفرض حصاراً فكرياً ودينياً على شعوبها ، فقد ساهمت الفتوحات الاسلامية بازالة هذه العوائق السياسية، مما سمح للإسلام بالوصول إلى الناس مباشرة، اذ يذكر الكتاب والمؤرخين أن الفتوحات لم تكن تهدف لإكراه الناس على الدين، بل لـــ "توفير البيئة الحرة" ليختار الناس معتقداتهم دون ضغط من أباطرة أو ملوك[٣]هذا الانفتاح أدى

---

١) تقي الدين أحمد بن علي المقريزي، المواعظ والاعتبار بذكر الخطط والآثار، دار الكتب العلمية، بيروت، ١٩٩٨م، ص١١٢.

٢) محمود شاكر، موسوعة الفتوحات الإسلامية، الطبعة الأولى، دار أسامة للنشر والتوزيع، عمان – الأردن، ٢٠٠٢م، ص١٥.

٣) المصدر نفسه ،ص١٨.

إلى دخول فئات واسعة في الإسلام طواعية بعد تأثرهم بالدين الاسلامي وما شاهدوه من فروسية وأخلاق الفاتحين.

ثانياً: ترسيخ قيم التسامح والتعايش الديني

أفرزت الفتوحات نموذجاً فريداً للتعايش من خلال "عقود الذمة" والعهود التي أُعطيت لأهل الكتاب، مثل "العهدة العمرية" لأهل القدس ، وحرية العبادة فقد ضمنت الدولة الإسلامية حماية الكنائس والمعابد، ومنعت التعرض لرجال الدين، وهو ما كان يفتقده المسيحيون "المنوفيزيت" في الشام ومصر تحت حكم البيزنطيين الذين اضطهدوهم لمخالفتهم المذهب الرسمي للإمبراطورية[١].

كما ان تحقيق العدالة أصبح لغير المسلمين فاهتم الولاة المسلمين بحق التقاضي أمام القضاء الإسلامي، مما رسخ مبدأ المساواة الدينية في الحقوق المدنية.

ثالثاً: انتشار اللغة العربية كوعاء روحي

ارتبط انتشار الإسلام بانتشار اللغة العربية، لغة القرآن الكريم ، ومع اتساع الفتوحات، بدأت الشعوب المفتوحة تتعلم العربية لفهم الدين الجديد والمشاركة في الإدارة ، هذا الأثر الديني– الثقافي أدى على المدى الطويل إلى صبغ هذه الأقاليم بالصبغة العروبية الإسلامية، وتحولت مدن مثل الكوفة والبصرة والفسطاط إلى مراكز لتدريس الفقه والتفسير والحديث، مما أغنى الفكر الإسلامي بتنوع مشارب أتباعه الجدد[٢].

رابعاً: توحيد القيادة الدينية والروحية

قبل الفتوحات، كانت المنطقة مسرحاً لصراعات مذهبية مسيحية وزرادشتية طاحنة ، قدم الإسلام بديلاً عقدياً يقوم على التوحيد البسيط والواضح، مما وحد الشعوب تحت مرجعية دينية واحدة (القرآن والسنة). هذا التوحد قلل من النزاعات الداخلية التي كانت تنهك المجتمعات، وحول الطاقة البشرية نحو البناء الحضاري بدلاً من الجدل اللاهوتي العقيم[٣].

---

١) طالب الدغيم، دوافع الفتوحات الإسلامية: دراسة في التطور العسكري الإسلامي، مكتبة الأسرة العربية، إسطنبول، ٢٠٢٠م،ص٤٢.

٢) محمود شاكر، المصدر السابق، ص٢٢.

٣) المصدر نفسه، ص١٨.

الخاتمة

خلص هذا البحث إلى أن الفتوحات الإسلامية في العصر الراشدي (١١-٤٠هـ) لم تكن حركات توسع عسكري مجردة، بل مشروعًا حضاريًا متكامل الأبعاد، تداخلت فيه الدوافع الدينية والسياسية والأمنية والاجتماعية والاقتصادية. وقد بيّن البحث أن البعد الديني والدعوي شكّل الإطار القيمي الذي انطلقت منه الفتوحات، في حين أسهمت الاعتبارات السياسية والأمنية في توجيه مسارها وتحديد أولوياتها الجغرافية. كما أظهر البحث تباين نمط الفتوحات بين الخلفاء الراشدين تبعًا لاختلاف الظروف الداخلية والخارجية، ولا سيما في عهد الإمام علي بن أبي طالب (عليه السلام) الذي اتجه إلى تثبيت المنجزات ومعالجة الأزمات الداخلية بدل التوسع الخارجي. وأثبتت الدراسة أن الفتوحات أسهمت في إحداث تحولات سياسية عميقة، تمثلت في سقوط القوى الكبرى وإعادة تشكيل النظام الدولي آنذاك، فضلًا عن آثارها الاقتصادية والدينية التي ساعدت في ترسيخ قيم العدالة والتسامح وانتشار الإسلام طوعًا بين الشعوب المفتوحة. وبذلك يتضح أن الفتوحات الراشدية كانت عامل أساس في بناء الدولة الإسلامية وتأسيس ملامح حضارتها المبكرة.

قائمة المصادر والمراجع

١. ابراهيم مصطفى واخرون ، المعجم الوسيط ، (القاهرة : مجمع اللغة العربية ، د.ت) ، ج٢،ص٦٧١.

٢. ابن خلدون، المقدمة، دار الفكر، بيروت، ٢٠٠٤م.

٣. ابن كثير، البداية والنهاية، ج٧، ص ٥-١٨.

٤. أبو الحسن علي بن الحسين المسعودي، مروج الذهب ومعادن الجوهر، دار الأندلس، بيروت – لبنان، ١٩٨٣م.

٥. أبو الحسن علي بن محمد بن الأثير، الكامل في التاريخ، تحقيق: عبد الله القاضي، دار الكتب العلمية، بيروت – لبنان، ١٩٨٧م.

٦. أبو الفداء إسماعيل بن عمر بن كثير، البداية والنهاية، تحقيق: علي شيري، دار إحياء التراث العربي، بيروت – لبنان، ١٩٨٨م.

٧. أبو جعفر محمد بن جرير الطبري، تاريخ الرسل والملوك، تحقيق: محمد أبو الفضل إبراهيم، دار المعارف، القاهرة، ١٩٦٧م.

٨. أبو زيد عبد الرحمن بن محمد بن خلدون، العبر وديوان المبتدأ والخبر، دار الكتاب اللبناني، بيروت – لبنان، ١٩٨١م.

٩. أبو عبد الله محمد بن عمر الواقدي، فتوح الشام، دار الجيل، بيروت – لبنان، ب.ت.

١٠. أبو منصور محمد أحمد الازهري (ت٣٧٠ه) ، تهذيب اللغة، تحقيق: عبد الكريم الغرباوي، ومحمد النجار، (القاهرة : الدار المصرية للتأليف والنشر) ، ٤٤٥/٦، د.ط ، د.ت.

١١. أبو يوسف يعقوب بن إبراهيم، كتاب الخراج، المكتبة السلفية، القاهرة، ب.ت.

١٢. أحمد بن يحيى بن جابر البلاذري، فتوح البلدان، تحقيق: رضوان محمد رضوان، دار الكتب العلمية، بيروت، ١٩٨٣م.

١٣. أحمد شلبي، التاريخ الإسلامي والحضارة الإسلامية، (القاهرة: مكتبة النهضة المصرية، ١٩٩٧)، ص ١١٢.

١٤. اسماعيل ابن عباد بن عباس الملقب بابن عباد (ت٣٨٥هـ)، المحيط في اللغة، تحقيق: محمد آل ياسين، (القاهرة : عالم الكتب،١٩٩٤) ، ٥٤/٣.

١٥. البلاذري، أحمد بن يحيى، فتوح البلدان، (بيروت: دار ومكتبة الهلال، ١٩٨٨)، ص ٢٤٠–٢٤٢.

١٦. تقي الدين أحمد بن علي المقريزي، المواعظ والاعتبار بذكر الخطط والآثار، دار الكتب العلمية، بيروت، ١٩٩٨م، ص١١٢.

١٧. جلال الدين عبد الرحمن السيوطي، تاريخ الخلفاء، تحقيق: محمد محيي الدين عبد الحميد، مطبعة السعادة، القاهرة – مصر، ١٩٥٢م.

١٨. جمال الدين ابو الفرج بن عبدالرحمن الملقب الجوزي،(ت٥٩٧ه) نزهة الأعين النواظر ، تحقيق : عبدالكريم الراضي، ط٣ ، (بغداد : مؤسسة الرسالة ،١٩٨٧م) ص٤٦٢.

١٩. جمال الدين محمد بن مكرم الملقب بابن منظور، (ت٧١١ه)، لسان العرب، ط٤، (بيروت : التراث العربي ، ١٩٩٠م) ،ج١٠،ص١٧١.

٢٠. الذهبي، تاريخ الإسلام، عهد الخلفاء الراشدين، ص ٣١٠–٣٤٥.

٢١. الشريف الرضي (جامع)، نهج البلاغة (وهي خطب ورسائل الإمام علي بن أبي طالب)، شرح: الشيخ محمد عبده، دار المعرفة، بيروت – لبنان، ب.ت.

٢٢. شمس الدين محمد بن أحمد الذهبي، تاريخ الإسلام ووفيات المشاهير والأعلام، تحقيق: عمر عبد السلام تدمري، دار الكتاب العربي، بيروت – لبنان، ١٩٩٠م.

٢٣. صالح أحمد العلي، التنظيمات المالية في الدولة الإسلامية، (بغداد: جامعة بغداد، ١٩٩٠)، ص ٨٧–٨٩.

٢٤. طالب الدغيم، دوافع الفتوحات الإسلامية: دراسة في التطور العسكري الإسلامي، مكتبة الأسرة العربية، إسطنبول، ٢٠٢٠م، ص٤٥٢.

٢٥. الطبري، محمد بن جرير، تاريخ الرسل والملوك، تحقيق محمد أبو الفضل إبراهيم، ج٣ (القاهرة: دار المعارف، ١٩٦٧)، ص ٢٤٦–٢٤٧.

٢٦. طه حسين، الفتنة الكبرى: عثمان، (القاهرة: دار المعارف، ١٩٩٦)، ص ٤١–٤٢.

٢٧. عبد العزيز العمري ، الفتوح الاسلامية عبر العصور ، (السعودية : دار اشبيليا للطبع ، ١٩٩٨) ، ط٣، ص١٥

٢٨. عز الدين ابن الأثير، الكامل في التاريخ، ج٢ (بيروت: دار صادر، ١٩٦٥)، ص ٣٢٥.

٢٩. محمد بن عبدالملك الملقب بابن هشام ، (٢١٨هـ) ، السيرة النبوية ، تحقيق : مصطفى السقا واخرون ،(بيروت : دار احياء التراث ، د.ت)، ج٥ ، ص٢٣٥.

٣٠. محمد بن علي الشوكاني، (ت١٢٥٠ه) فتح القدير،(دمشق:دار ابن كثير ، ١٤١٤ه) ، ٥٠٩/٥.

٣١. محمد بن عمر الملقب بفخر الدين الرازي، (ت٦٠٦ه)، تفسير الفخر الرازي،ط٣ ، (بيروت : التراث العربي ، ١٤٢٠ه) ١٥٠/٣٣.

٣٢. محمد ضيف الله بطاينة ، دراسات في تاريخ الخلفاء الامويين ، (عمان : دار الفرقان ،١٩٩٩م) ، ص٢١٩.

٣٣. محمود شاكر ، التاريخ الاسلامي ،(بيروت : مطبعة المكتب الاسلامي،١٩٩١) ط٢ ، ج٢، ص١٢.

٣٤. محمود شاكر، موسوعة الفتوحات الإسلامية، الطبعة الأولى، دار أسامة للنشر والتوزيع، عمان – الأردن، ٢٠٠٢م.

٣٥. المسعودي، مروج الذهب ومعادن الجوهر، ج٢، ص ٣٨٠–٤٢٠.

٣٦. نهج البلاغة، شرح محمد عبده، الرسائل والعهود الإدارية.

٣٧. الواقدي، فتوح الشام، ج١، ص ١٥٠–٢٠٠.